محاسن دين الإسلام

خطبة ألقاها

الشيخ أ.د. سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ كرسي الفتوى بالجامعة الإسلامية والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

يوم ٤ ربيع الآخر ١٤٣٩ بمدينة دوسلدورف في ألمانيا

[الخطبة الأولى]

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يهد الله فلا مُضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ١﴾ [النساء:١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١]

أمّا بعد: فإنّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار، ثم يا معاشر الفضلاء:

إن دينَكم الإسلامَ دينٌ كلّه خيرات وبركات، ومحاسن ورحمات، فإن ربكم سبحانه وتعالى قال لنبيكم ﷺ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء:١٠٧].

فربنا سبحانه وتعالى أرسل محمداً ﷺ رحمةً للجنّ والإنس كلهم، فجاء ﷺ بدين عظيم، فيه الرحمة الشاملة، وفيه الرحمة الواصلة.

فيه الرحمة الشاملة: لكل إنسان، فديننا فيه الرحمة لجميع بني آدم.

وفيه الرحمة الخاصّة: الواصلة إلى المؤمنين، الذين آمنوا بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً نبيّاً.

ووالله ثم والله، لو أن الإسلام عُرِض على الناس كما جاء به محمد ﷺ، لاحترمه كثير من العقلاء، ولو لم يؤمنوا به.

ووالله ثم والله، لو أن الإسلام عُرِض على الناس كما جاء به محمد ﷺ، لدخل الناس في دين الله أفواجاً، كما كان شيخنا عبد العزيز بن باز رحمه الله عز وجل يُقسِم على هذا أيماناً مغلّظة.

ولو أن المسلمين من أمثالكم –يا عباد الله– استقاموا على دين الله، وعملوا بما جاء به رسول الله ﷺ، لكانوا دعاةً إلى الله –ولو لم ينطقوا بكلمة–، فإن الإسلام إذا عُمل به، وتعامل المسلم به مع الناس حقّاً وصدقاً، كان في ذلك دعوة إليه، ولا شك في ذلك –يا عباد الله–.

عباد الله، ينبغي علينا أن نَعلم محاسن ديننا، وأن نعمل بها، وأن ننشرها بين الناس.

فمن محاسن ديننا –يا عباد الله–: أنه دين كامل؛ أكمله الله عز وجل، كما قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة:٣]، فديننا حيثما تأمّلته، ونظرت فيه، وتدبّرت فيه، وجدت أنه كامل من جميع جوانبه، في الاعتقاد، والعبادات، والمعاملات، والقضاء، والأخلاق، دين كامل أكمله الله عز وجل، ولم يَكِله إلى أحد من خلقه.

ولا شك –يا عباد الله– أن الدين الكامل لا يتحمّل زيادةً عليه، ولذا كان الواجب على المسلم أن يلزم ما جاء في كتاب الله، وفي سنة رسول الله ﷺ، وأن يدع البدع، فلا يبتدع بدعةً في دين الله، ولا يعمل ببدعة في دين الله، وهذه هي وصية رسول الله ﷺ، حيث قال: «فإن من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديّين، تمسّكوا بها، وعضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».

ومن محاسن دينكم –يا عباد الله–: أنه نعمة تامة، أنعم الله بها عليكم، فإن ربكم سبحانه وتعالى قال: ﴿وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ [المائدة:٣]، والنعمة التامّة –يا عباد الله– يكون ما يخالفها نقمةً على صاحبه، وعلى مجتمعه.

فيا عبد الله، إذا أردت أن تعيش سعيداً، إذا أردت أن تعيش في نِعَم تامة، فعليك بالاستقامة على دين الله عز وجل؛ اهجر هواك، وأطع مولاك، تَعِشْ في خير حال، وفي سعادة تامّة، وإياك –يا عبد الله– أن تظن أن في معصية الله لذة دائمة، أو سعادة حقيقية، لا والله! إن معصية الله إنما هي نقمة ولا بدّ، في العاجل والآجل، فالزم –عبد الله– دين الله عز وجل، تَعِشْ سعيداً في الدنيا، وتُبعث حميداً يوم القيامة، وتكون من أهل الفوز العظيم عند لقاء الله سبحانه وتعالى.

ومن محاسن دينكم –يا عباد الله–: أنه دين مرضيّ؛ من الذي رضيه؟ رضيه ربنا سبحانه وتعالى، فقال سبحانه: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة:٣].

فالإسلام هو الدين الذي يقبله الله عز وجل، ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران:١٩].

وإن الموفَّق المؤمن من رضي بما رضيه الله عز وجل، فرضي الإسلام له ديناً –جملةً وتفصيلاً–، فتمسّك بدين الله عز وجل عن رضا، وعن انشراح صدر، وعن تسليم تامّ، لما جاء في كتاب الله، وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن محاسن دينكم –يا عباد الله–: أنه دين محفوظ، حفظه الله عز وجل، كما قال ربنا: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحجر:٩]، فديننا –بحمد الله– محفوظ، وهو موجود بين أيدينا كما كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم.

فالقرآن نقرؤه كما قرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكما قرأه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يُزَد فيه حرف، ولم يُنقَص منه حرف، بل هو محفوظ بحفظ ربنا سبحانه وتعالى.

والسنة محفوظة بحفظ الله عز وجل، وقد قيّض الله لها رجالاً، بيّنوا صحيحها من سقيمها، فصحيح السنة، والثابت من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، موجود بين أيدينا، كأنا نسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وإن المؤمن إذا أدرك هذه المحاسن الأربعة، فإنه يزداد يقيناً بدين الله عز وجل، ويحرص على الاستقامة على دين الله عز وجل، فهذه نِعَم –يا عباد الله– تحتاج منّا أن نشكرها، حتى يثبّتنا الله عز وجل عليها، ويثبّتها لنا.

وإن المؤمن إذا أدرك هذه المحاسن لَيعلم أن الدين الصحيح، وأن الدين الجامع، الذي يجمع على الحق، ولا يفرّق أهل الحق: إنما هو ما كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وأجمع عليه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخذه السلف الصالح من سلفهم –صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم–.

وإن هذا باقٍ –يا عباد الله– إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فحتى عندما حدثت البدع، وحدثت الآراء، واختلف الناس في دينهم، جعل الله عز وجل فرقةً ناجيةً من تلك الفرق، وجعل طائفةً منصورةً بنصر الله سبحانه وتعالى، ظاهرةً على الحق، لا تحرّف دين الله، ولا تغيّر في دين الله عز وجل، حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

وإن المؤمن الرفيق بنفسه، الحريص على ما يُرضي الله عزّ وجلّ، لَيحرص على أن يكون من أهل تلك الفرقة الناجية، من أهل تلك الطائفة المنصورة، وعلامتهم ظاهرة جدّاً، لا ترى في قولهم إلا: (قال الله، قال رسول الله ﷺ)، ترى في فهمهم فهم صحابة رسول الله ﷺ، لا يحرّفون، ولا يغيّرون، إنهم -يا عباد الله- من كان على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه.

فوالله -يا عباد الله- إنه لن يجمع عبادَ الله، ولن يجعل عبادَ الله على استقامة في دينهم، أن يتّبع الناس فرقةً لم تكن في زمن رسول الله ﷺ، ولا في صحابة رسول الله ﷺ، وإنما حدثت بعد ما ابتعد عهد الناس عن زمن الرسول ﷺ.

ألا وإن من محاسن دينكم -يا عباد الله-: أنه دين التوحيد الخالص، فالمسلمون يقومون بحق الله عزّ وجلّ، فلا يسوّون بين الله وبين أحد من خلقه في خصائصه، ولا في حقه سبحانه وتعالى، فهو دين التوحيد.

فالله عزّ وجلّ له خصائص؛ أفعاله سبحانه، وصفاته سبحانه، من خصائصه سبحانه وتعالى، فالمؤمن لا يصرف شيئاً من خصائص الله إلى غير الله سبحانه وتعالى.

وربنا سبحانه الذي خلقنا من عدم، وربّانا بالنعم، له حق عظيم علينا، ألا وهو: أن نعبده سبحانه وتعالى، أن نوحّده، وألا نصرف شيئاً من أنواع العبادة -مهما قلّ- إلى أيّ أحد من مخلوقات الله -مهما فَضُل-، بل نجعل عبادتنا لربنا سبحانه وتعالى، كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات:٥٦]، وكما قال ربنا: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ [البينة:٥].

فالواجب علينا -يا عباد الله- أن نتمسّك بهذه النعمة، ألا وهي نعمة توحيد ربنا سبحانه وتعالى، فإن من وحّد الله قام بما وجب عليه في دنياه، وأمن الخسران إذا لقي الله عزّ وجلّ في أخراه.

ألا وإن من محاسن دينكم -يا عباد الله-: أنه دين العدل وحسن المعاملة، فربنا سبحانه وتعالى أوجب علينا أن نعدل مع كل أحد، مع من نحبّ، ومع من نبغض، مع من وافقنا، ومع من خالفنا، فالواجب في ديننا أن نعطي كل حقّ لصاحبه، وألا نظلم أحداً أبداً.

وحثّنا ربنا على أن نتعامل بالفضل والإحسان، وأن نزيد صاحب الحق من عندنا، وأن نتنازل عن بعض حقوقنا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل:٩٠].

فربنا أمرنا أمر إيجاب بالعدل، وأمرنا أمر استحباب بالفضل، ولو أن المسلمين عاملوا الناس بهذا لوجدنا خيراً كثيراً، ولعلم الناس ما في هذا الدين من خيرات ورحمات.

وإن من محاسن دينكم -يا عباد الله-: أنه دين الوفاء، دين يأمر بالوفاء، ويحرّم الغدر، ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ۝٣٤﴾ [الإسراء:٣٤].

فالمسلم إذا عاهد أحداً بلسانه، أو بحاله، فإنه يفي بعهده، ولا يغدر أبداً، وقد قال النبي ﷺ: «لكل غادر لواء يوم القيامة يُعرف به» -فيُجعل لكل غادر يوم القيامة لواء يُعرف به-، و«يقال: هذه غدرة فلان».

فأنتم -يا عباد الله- تعيشون في هذا البلد، وقد أَعطيتم أهله عهداً، فواجب عليكم أن تفوا بعهدكم، وألا تغدروا، وألا تجلبوا شرّاً لهذا البلد الذي تقيمون فيه.

والمؤمن الذي يعلم حدود الله، ويعظّم شعائر الله، إذا دخل بلداً بتأشيرة، فإنه يعلم أن التأشيرة عهد من العهود، وأنه يجب عليه أن يفي بعهده، ويحرُم عليه حُرمةً مغلّظة أن يغدر بالعهد، وأن يغدر بمن عاهدهم، وأن يفعل شرّاً في البلد الذي دخل فيه بتلك التأشيرة، لأنه يعلم أن من أجلى وأعظم وأحسن محاسن ديننا: أنه دين الوفاء، دين يوجب الوفاء، ويحرّم الغدر -يا عباد الله-.

وإن من محاسن ديننا: أنه دين اليسر، فهو دين كلّه يسر، وسهولة، وسماحة، ألم يقل ربنا ﷻ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥]؟ بلى، إن ربنا ﷻ ما أراد بنا في ديننا إلا يسراً، ولم يرد بنا العسر أبداً.

ولذا، فاعلموا -يا عباد الله- أن كل ما شرعه الله لكم فهو يسر، والله لا مشقة فيه، فإن وقع العبد في مشقة لسبب عارض -كسفر أو مرض-، فإن الشرع يخفّف عنه، بمقدار ما يدفع تلكم المشقة.

ألا فاتقوا الله عباد الله، وتدبّروا في محاسن دينكم، وانشروا ذلك، واعملوا به، والزموه، واستقيموا على دين الله، لعلكم تفلحون.

أقول ما تسعمون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد فيا معاشر الفضلاء:

إن من محاسن دينكم: أنه جاء بحفظ الضروريّات الخمس، حفظاً تامّاً لا نقص فيه، فحفظ على الناس دينهم الحق، وأمرهم بالتوحيد، ونهاهم عن الشرك، وبيّن لهم الصراط المستقيم، وأمرهم بلزومه، ونهاهم عن الإحداث في الدين.

كما جاء -يا عباد الله- بحفظ الأنفس المعصومة -بالإيمان أو بالأمان-، فحفظها حفظاً تامّاً، فحرّم الله عز وجل قتل المؤمنين، ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء:٩٣].

وعدّ النبي ﷺ أكبر الكبائر، وعدّ منها: قتل النفس بغير الحق.

وقال النبي ﷺ: «لن يزال المؤمن في فسحة من دينه، ما لم يُصِب دماً حراماً».

وقال ﷺ: «من قتل معاهَداً، لم يرَح رائحة الجنة».

فحَفظ الأنفس المعصومة بالإيمان، والمعصومة بالأمان.

وجاء بحفظ النسل والعرض، فحرّم الزنا، واللواط، وأحلّ النكاح، فهذّب الشهوة، وجعلها تتوافق مع ما يليق بالإنسان، بأن يجعلها الإنسان فيما أحلّه الله عز وجل -وهو النكاح-، فمدح الحافظين لفروجهم، ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾﴾ [المؤمنون:٥-٧].

حرّم الله عز وجل على العبد أن يبتغي بشهوة فرجه غير زوجته، وبيّن أن ذلك عدوان وظلم -يا عباد الله-، كلّ من ابتغى أن يجعل شهوة فرجه في غير زوجته فإنه عادٍ، مجرمٌ -والعياذ بالله-.

فحفظ الله عز وجل فرج الإنسان، وعِرض الإنسان، ونَسل الإنسان.

كما جاء بحفظ العقل حفظاً تامّاً، فحرّم الخمر، وقبّح شرب الخمر، وبيّن عمر رضي الله عنه أن كل ما غطّى العقل، وكل ما أثّر في العقل -سواءً كان شراباً أو غير ذلك-، فإنه خمر محرّم، فقال -رضي الله عنه وأرضاه- وهو على المنبر: ألا إن الخمر ما خامر العقل، أي أن الخمر المحرّم هو ما غطّى العقل.

بل إن الإسلام سدّ كل ذريعة تُفسد العقل، حتى قال النبي ﷺ: «ما أسكر كثيره فقليله حرام»، فما كان يُسكر كثيره، فإن شرب القليل منه -ولو لم يُسكر- حرام في ديننا، فينبغي على العبد أن يتنبّه لهذا الأمر.

كما جاء الإسلام بحفظ المال الذي جعله الله لنا قياماً، فشرع لنا أن نتكسّب، وأن نعمل بأيدينا، وأن نبيع ونشتري، وحرّم علينا ما يُضِيع المال، من الظلم، والربا، والسرقة، وغير ذلك مما يكون فيه ضياع المال.

فمن محاسن ديننا أنه جاء بالحفظ التام لهذه الضروريّات.

ألا فاتقوا الله عباد الله، واحمدوا الله أن جعلكم مسلمين، من أهل هذا الدين العظيم الذي فيه الخير كلّه، واعملوا بدينكم، لتكونوا دعاةً إلى الله، وأحسنوا معاملة من تعيشون معهم، لتبيّنوا لهم مكارم الإسلام، ومحاسن الإسلام، لتدعوهم إلى دين الله عز وجل، واستقيموا على الهدى والسنة، فإن خير الهدي هدي محمد ﷺ، وإياكم والبدع وأهلها، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم اعلموا -عباد الله- أن من أفضل أقوالكم، وأشرف أقوالكم: صلاتكم وسلامكم على نبيكم ﷺ، فإن الله عز وجل قد قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦].

وقال النبي ﷺ: «من صلّى عليّ واحدةً صلّى الله عليه عشراً».

وقال ﷺ: «من صلّى عليّ صلاة واحدةً صلّى الله عليه عشر صلوات، وحطّ عنه عشر خطيئات، ورفع له عشر درجات».

وقال النبي ﷺ: «ما من عبد يصلّي عليّ إلا صلّت عليه الملائكة، ما دام مُصلّياً عليّ».

واعلموا أنه يتأكد مشروعية كثرة الصلاة على النبي ﷺ في يوم الجمعة، فإن النبي ﷺ قال: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خُلق أيام، وفيه قُبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا من الصلاة عليّ فيه، فإن صلاتكم معروضة عليّ»، قالوا: وكيف تُعرض صلاتنا عليك وقد أرَمت؟ أي: بَلِيت، فقال ﷺ: «إن الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء».

فاللهمّ صلّ على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وسلّم تسليماً كثيراً.

وارض اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارض اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارض اللهمّ عن الصحابة أجمعين.

اللهمّ رحمتك نرجو، فلا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، وأصلح لنا شأننا كله، لا إله إلا أنت.

اللهمّ يا ربنا، يا حي يا قيوم، إنا عباد من عبادك، ضعفاء مذنبون، قد اجتمعنا في بيت من بيوتك، نؤدّي فريضة من فرائضك، نرجو رحمتك ونخاف عذابك، اللهمّ فارحمنا أجمعين، اللهمّ فارحمنا أجمعين، اللهمّ فارحمنا أجمعين.

اللهمّ اغفر لنا، ولوالدينا، ولأهلينا، ولأبنائنا وبناتنا، ولجيراننا يا رب العالمين.

اللهمّ يا ربنا، نسألك بأسمائك الحنسى وصفاتك العلى، أن تهدينا للسنة، وأن تثبّتنا عليها، إلى أن نلقاك يا رب العالمين.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

والله تعالى أعلى وأعلم، وصلى الله على نبينا وسلم.